المراحل التاريخية لعلم مصطلح الحديث وأشهر ما صنف فيه

د.علي مصطفى القضاة
أستاذ مساعد – كلية عجلون
جامعة البلقاء التطبيقية
المملكة الأردنية الهاشمية
dr.aliqudah@yahoo.com

▪ **الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**
علي مصطفى القضاة ، المراحل التاريخية لعلم مصطلح الحديث وأشهر ما صنف فيه ،-دورية كان التاريخية- العدد الرابع ؛ يونيو ٢٠٠٩. ص ٤٨ – ٥٧. (www.historicalkan.co.nr)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فإن علم مصطلح الحديث عظيم الشأن وهو من أجل العلوم نفعاً ، إذ به يعرف الحديث الصحيح من الضعيف ، كما أنه يعبر عن أصالة الأمة الإسلامية ، حيث استطاع المسلمون أن يتوصلوا إلى هذا العلم ، ولم يقتبسوه عن غيرهم ، وهو يشكل المرتكز الأساسي لطرائق البحث والنقد عند المسلمين ، وبه يذب الكذب عن أحاديث الرسول ﷺ فهو من أفضل القربات إلى الله ، ومن أهم العلوم الشرعية الموصلة إلى رضوان الله سبحانه وتعالى .

لذا ينبغي أتن نهتم بدراسة هذا العلم لأن فيه تدعيم لمناهجنا الأصلية ، وهي مناهج انبثقت من تفكيرنا القادر على الإبداع والابتكار ، إذ يخّيل لبعض الناس أن التصنيف والتأليف في هذا العلم قد نضج ، وأنه ما ترك السابقون للاحقين شيئاً يكتبوا به ، وهذا خطأ شائع مع علمنا وبقيننا أن علماءنا قاموا بجهود كبيرة لخدمة السنة النبوية ، لكني أرى أننا في هذا العصر وما يليه بحاجة لإلى دراسة هذا العلم ، فهو يعبر عن أصالتنا ، كما ينبغي أن يظهر أثر هذا العلم في حياتنا العلمية والفكرية ،ابتكارًا ، وإبداعًا ، واستنتاجًا.

وبحثي المتواضع يبحث في المراحل التاريخية لجهود المسلمين من الصحابة والتابعين والعلماء وغيرهم في خدمة علم مصطلح الحديث ، ولا أدعي أنني كتبت عن كل حاجة في مراحل هذا الفن ومصنفاته ، لكنني حاولت أن أرجع وأكتب عن أغلب مراحل هذا الفن ومصنفات كل مرحلة منها .

فقد ذكرت التمهيد ، وتعريف مصطلح الحديث ، ونبذة تاريخية عن هذا العلم ، وكيفية نشأته ، وأهم ما ألف فيه بمراحله المختلفة ، وذكرت خصائص بعض المراحل مع الاختصار الكثير من المسائل خوفاً من الإطالة المملة. وسجلت في الخاتمة بعض النتائج والملاحظات التي استفدت منها في البحث ، فهذا جهد المقل ، وهذا ما أوصلني إليه اجتهادي ، فإن أصبت فمن الله تعالى ، وإن أخطأت فمن نفسي ، وأسأل الله أن تكون هذه الدراسة منطلقاً لبحث أوسع وأشمل في المستقبل إن شاء الله تعالى.

إن الله سبحانه وتعالى قد أرسل رسوله محمداً للبشرية هادياً ونبياً ، ليخرج البشرية من الظلمات إلى النور ،وأنزل عليه كتاباً لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه ، وأمر نبيه ﷺ ببيان ما في الكتاب (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) النحل: ٤٢ - ٤٣ ،فقام ﷺ بأوامر ربه ،فبين ما في الكتاب على أكمل بيان ،وشرع في السنة أحكاما جديدة ، فكانت السنة المطهرة أساس في الإسلام ومفتاح ومصباح للعلوم الشرعية التي جاء بها الوحي ،وجميعها تتوقف على بيان النبي ﷺ. صلى الله عليه وسلم ، فنهض الصحابة ومن بعدهم من الأمة في كل مرحلة تاريخية من مراحل الإسلام رجالاً بذلوا كل ما يملكون لنقل بيان النبي ﷺ لأحكام الشريعة بكل مصداقية وهمة وتثبتت وتيقن ، وفي هذا البحث نتحدث عن المراحل التاريخية التي مر بها علم مصطلح الحديث منذ نشأته في زمان النبي ﷺ مروراً بالمراحل التاريخية لهذا العلم ، والضوابط التي سار عليها في كل مرحلة تاريخية ، وأهم المصنفات التي صنفت بهذا الفن لتصون حديث النبي ﷺ من الضياع والتحريف والتبديل ،ليصدق نسبة الأحاديث إليه ﷺ ولكل مرحلة ملامح خاصة بها ، فمهمة السنة عظيمة وجليلة ، ولولا معرفتها لما عرفنا أحكام الدين.

فقد نشأ علم المصطلح مع صدور الحديث عن رسول الله ﷺ منذ بداية البعثة ، يبحث في التثبت من الخبر الوارد عنه ﷺ الذي نتعبد به ، إذ كان جل اهتمام الصحابة يعتمد على السماع والمشاهدة ، ثم الرواية ، فقد كان الصحابة يرجعون إلى النبي ﷺ للأخذ منه مباشرة ، واعتمدت على الفهم والاستيعاب ومتابعة الصحابة لما يصدر عنه ﷺ ثم الرواية والحفظ والتبليغ ، ولم تكن لتتسع نطاق الرواية مما جعل هذه الفترة بعيدة عن الشك والنسيان ، وجاءت الأمر بالقران من وجوب التثبت والتيقن في نقل الخبر(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِمِينَ) الحجرات: ٦

وتعد هذه الآية أول قواعد هذا الفن ،وأهم أركان علم مصطلح الحديث ،فقد حث الرسول .صلى الله عليه وسلم .أصحابه على ذلك ، وأمر بضبط ما يسمعونه عنه بقوله .صلى الله عليه وسلم ."نضّر الله امرءاً سمع مقالتي ،فوعاها ،وحفظها ،وبلغها ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه" وقد ورد هذا الحديث عن أكثر من عشرين صحابياً.[١] ، وجاء حديث النبي .صلى الله عليه وسلم . ماثلا أمامهم محذراً في بيان مصير من يكذب بقوله .صلى الله عليه وسلم .: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[٢] **وصف بأنه متواتر.** وقوله ـصلى الله عليه وسلم :" كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع"[٣] وصح عنه .صلى الله عليه وسلم:"إذا حدّثتكم حديثاً ، فلا تزيدن عليّ"[٤] وقوله صلى الله عليه وسلم: "من كذب عني بحديث يرى أنه كذب ، فهو أحد الكذابين ".[٥]

فالآيات والأحاديث تبين وتوجب مبدأ التثبت في أخذ الأخبار وكيفية ضبطها ، وقد نقل لنا الصحابة هذا العلم بكل ثقة وأمانة وإخلاص لله تعالى ، دفاعاً عن دينه وسنة نبيه .صلى الله عليه وسلم . وتثبتاً في الحديث. فقد نقل إلينا الإمام الذهبي رحمه الله قوله في ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه".. وكان أول من احتاط بقبول الأخبار وقال في ترجمة عمر بن الخطاب :" ...وهو الذي سنّ للمحدثين التثبت في النقل" ،[٦] وكانت ملامح هذه الفترة تدور حول سماع الصحابة منه ـصلى الله عليه وسلم ـ ومشاهدة أحواله ، ثم الرواية والحفظ والتبليغ . وقبل البدء بذكر المراحل التاريخية المهمة ، نذكر تعريف هذا العلم ، وبيان أهميته.

تعريف علم مصطلح الحديث

تعريف الحديث: يطلق عليه الخبر ، وهو المناسب للمعنى الاصطلاحي ، كما يطلق على الجديد ضد القديم. (القاموس ، مادة حدث).

اصطلاحاً : ما أضيف إلى النبي من قول ، أو فعل ،أو تقرير أو صفة ، خلقية ،أو خلقية . وكذا ما أضيف إلى الصحابي ،أو التابعي . وقد يطلق على الحديث الخبر أو الأثر.[٧]

أما علم مصطلح الحديث فقد عرفه ابن الأكفاني في كتابه إرشاد المقاصد: العلم الذي يعرف به حقيقة الرواية ، وشروطها ، وأنواعها ، وأحكامها ، وأحوال الرواة ،وشروطهم ، وأصناف المرويات ، وما يتعلق

بها. وعرفه عز الدين بن جماعة: علم بقوانين المرويات وما يتعلق بها من أحوا السند والمتن.[٨] وقال الحافظ ابن حجر : أولى التعاريف أن يقال : معرفة القواعد المعرفة بحال الراوي والمروي عنه . وأكثر أهل الحديث على ذلك.[٩]

وقد أطلق عليه عدة مسميات ، منها: علوم الحديث ، مصطلح الحديث ، علم أصول الحديث ، علم الحديث دراية ، ويندرج تحت هذا العلم مسميات كثيرة لعلوم متفرعة من هذا العلم. ستظهر خلال المراحل التاريخية.[١٠] وتسمية هذا العلم: بعلم دراية الحديث أو علم الحديث دراية ، إنما هو اصطلاح المتأخرين ، ممن جاء بعد الخطيب البغدادي ، ومن عصر ابن الأكفاني ومن بعده ، وعلى هذا الاصطلاح جلال الدين السيوطي.[١١]

موضوعه

السند من حيث سلسلة الرواة ، وذلك ببيان اتصاله ،أو انقطاعه ، أو علوه ، أو نزوله . والمتن من حيث الصحة والضعف ، وما يتبعهما من أحكام.

ثمرتـــه

تمييز الأحاديث المقبولة فيعمل بها ، والمردودة فلا يعمل بها. فقد أقيم علم مصطلح الحديث لغاية عظيمة وجليلة ، وهي حفظ الحديث النبوي من الخلط فيه أو الدس والافتراء عليه ، وهذه الوظيفة غاية في الأهمية وتشتمل على فوائد كثيرة.

أهميته

١. حفظ الدين الإسلامي من التحريف والتبديل ، فقد نقلت الأمة الحديث النبوي بالأسانيد ، وميزت صحيحه من سقيمه ، ولولا أن الله هيأ للأمة الإسلامية هذا العلم لالتبس الحديث الصحيح بالضعيف والموضوع ، ولاختلط كلام الرسول .صلى الله عليه وسلم بكلام غيره.

٢. استخراج المعاني واستنباط الأحكام من تعاليمه ﷺ من خلال ثبوت الحديث وصحته ، ليكون المسلم على بينة من فهم دينه.

٣. وضع الضوابط التي تمكن المسلم من خلالها الاطمئنان إلى معرفة الحديث المقبول من المردود ، والصحيح من الضعيف ، والمتصل من المرسل.

٤. المساهمة في حفظ أصول الدين وسنة رسوله ﷺ عن طريق الدراية والبحث والنقد والتثبت.

٥. بيان تميز الأمة بخاصية الإسناد في هذا الدين.

٦. منع أهل البدع والأهواء والإلحاد من وضع الأحاديث وقلب الأسانيد.

٧. بواسطته يتم حسن الإقتداء بالرسول ﷺ

٨. تنقية وصيانة الأذهان من الخرافات والأساطير التي تفسد العقائد والعبادات ، وتفت في عضد الشعوب ، وتمزق الأمة ، إذ تجعلها فرقاً وأحزاباً ، لا تميز بين الحق والباطل ، فيسهل انقيادها لكل ناعق يدعو إلى الضلال.

٩. معرفة المسلم لقواعد هذا العلم تجنبه خطر الوعيد العظيم لذي يقع على من يتساهل في رواية الحديث في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ" من كذب عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين".[١٢]

الإسناد من خصائص هذه الأمة

سبق وأن أشرنا أن موضوع مصطلح الحديث يدور على الإسناد. ويعرف لغة : المعتمد ، وسمي بذلك لأن الحديث يستند إليه ، ويعتمد عليه . وعرف اصطلاحاً : سلسلة الرواة الموصلة للمتن.

ولذا فإن الله - سبحانه وتعالى - قد تكفّل بحفظ كتابه ، وهذا يستلزم حفظ ما يوضح ويبين ويفسر ويشرح ، وهو الحديث ، ومن أجل ذلك فقد هيأ الله لهذه الأمة رواة عدولاً ، نقلوا هذا الدين جيلاً بعد جيل ، فحفظوا على الناس دينهم ، وقد قاموا بجهود عظيمة في نقله وتمحيص مروياته منذ عصر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حتى تكامل تدوين الحديث بالطرق التي روي بها ، كما دون مصطلحه على أدق منهج يمكن أن يوجد للتثبت من النصوص المروية وتمحيصها ، ولما كان الإسناد هو الأساس في هذا العلم فقد نبه العلماء على أهمية السند منذ صدر الإسلام ،لأنه عن طريقه نقلت مصادر الشريعة ، فهذا الإمام محمد بن سيرين ، أحد أئمة التابعين يقول:" إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذوا دينكم".[١٣] وقال عبد الله بن المبارك: "الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء".[١٤] وعن كون الإسناد من خصائص الأمة الإسلامية فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الإسناد من خصائص هذه الأمة".[١٥]

وقد هيأ الله تعالى الأسباب لحفظ السنة ، فسخر لذلك جهابذة ، قضوا جل أوقاتهم في جمعها وحفظها وتدوينا والعناية بها ، والبحث عن رواتها ، ونقد مروياتهم ، واوجدوا موازين يعرف بها صحيح الحديث من سقيمه ، فنشأ لذلك علم مصطلح الحديث بفنونه المتنوعة ، وحفظ سنة نبينا محمد .صلى الله عليه وسلم .حتى قال العلماء في ذلك:"لو أن شخصاً كذب على النبي في الصباح لافتضح أمره في المساء" ، ولما سئل عبد الله بن المبارك عن الأحاديث الموضوعة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجاب فقال: "يعيش لها الجهابذة" . وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: قال سفيان الثوري: "من كذب في الحديث افتضح ، وأنا أقول: من هم أن يكذب افتضح".[١٦] وقال ابن الجوزي: "ولقد رد الله كيد الوضاعين والكذابين بأحبار أخيار فضحوهم ، وكشفوا قبائحهم ،وما كذب أحد قط إلا أفتضح".[١٧]

ولذا فقد يسر الله ـ سبحانه وتعالى ـ جهابذة لهذا العلم وضعوا قواعده وقوانينه ، فحفظوا حديث نبيه .صلى الله عليه وسلم .وردوا كيد أعدائه منذ عهد النبوة حتى أيامنا هذه. ومن هنا يمكن تحديد المراحل التاريخية لعلم مصطلح الحديث بمراحل متعددة:

المرحلة الأولى:

دور البدء والتأسيس في عهد الصحابة القرن الهجري الأول(١- ٩٩هـ)

لقد بدأ هذا الدور بعد وفاة النبي ﷺ وانقطاع الوحي وانتشار الصحابة في الآفاق ، وبرزت الحاجة الملحة لهذا العلم ، وازداد شعور الصحابة بذلك ، إذ لم يمكنهم من الرجوع إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم- كما برزت الحاجة إلى علم النحو عند فساد اللسان العربي ، واعتبر من أهم مراحل الحذر ، والتيقظ والتثبت والتحري ، وزيادة الحفظ ، وبدأت الرحلة في طلب الحديث ، واشتهر مجموعة من الصحابة في ذلك لحرصهم الشديد على نقل حديثه ﷺ

ومن باب الأمانة ، والخوف من الله إذ كان أحدهم يسمع الحديث منه صلى الله عليه وسلم هو وصحابي آخر فيرحل إليه ليتثبت من صحة ما سمع ، فقد رحل جابر بن عبد الله إلى مصر حتى سأل عقبة بن عامر عن حديث واحد ، وعاد إلى المدينة ،وذكر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري أنه رحل مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في الشام ليسمع منه حديثاً واحدا.[١٨] ومن تثبتهم العظيم أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه رحل إلى عقبة بن عامر بمصر من أجل حديث واحد لم يبق أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم سواهما.

إضافة إلى انقطاع مجموعة من الصحابة في التفرغ للرواية ، واشتهر في بعض البلاد من يقوم بهذه المهمة ، ففي مكة كان ابن عباس(ت٦٨هـ) ، وفي الكوفة عبد الله بن مسعود (ت٣٢هـ) ، وفي المدينة عبد الله بن عمر (ت ٧٤٠هـ) ، وفي مصر عقبة بن عامر (ت٥٨هـ) ، وفي بيت المقدس عبادة بن الصامت (ت٣٤هـ) .رضي الله عنهم أجمعين، وظهرت في هذه المرحلة طلب الإسناد ، في الوقت الذي لم يكن الصحابة يسألون عن السند ، إذ أنهم سمعوا من النبي . صلى الله عليه وسلم ـ مباشرة ، أو أن ثقتهم ببعضهم عالية ، حتى حصلت الفتنة بمقتل عثمان ، حيث ظهرت الفرق الكثيرة ، فكانت الحاجة ملحة للتثبت والسؤال والاستفسار عن ناقل الخبر ، وهذا يعني التأكيد على التثبت في نقل الخبر ، وقد ثبت أنهم طلبوا السند من بعضهم البعض ، وسار من بعدهم التابعين ، وأصبح هذا الأمر موضع اهتمام من المسلمين على مر العصور ، حتى وضعت القواعد العلمية والمنهجية النقدية لنقل وتمحيص الأخبار والروايات ، ولم يكن ذلك اتهاما لبعضهم ، ولكنه من باب التثبت والتيقظ والحذر والاحتياط.

وقد روي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .رضي الله عنهم .في طلبهم للشاهد ،أو اليمين على صحة السماع ، وهذا يعد مرحلة مهمة لمنهجية علمية دقيقة في تمحيص ونقل الأخبار التعبدية ، فقد ثبت أن أبا بكر.رضي الله عنه عنه طلب الشاهد من المغيرة بن شعبة .رضي الله عنه ـ في خبر توريث الجدة فلم يقبله حتى شهد معه محمد بن مسلمة.[١٩] كما ثبت طلب عمر بن الخطاب .رضي الله عنه ـ البينة من أبي موسى الأشعري .رضي الله عنه ـ في حديث الاستئذان وشهد له أبو سعيد الخدري ، وقال له عمر: "أما أني لم أتهمك ولكني خشيت أن يتقول الناس على رسول الله"[٢٠] أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: "كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعني الله بما شاء منه ، وإذا حدثني عنه غيره استحلفته ، فإذا حلف لي صدقته".[٢١]

إن الصحابة.رضي الله عنهم .أرادوا أن يستوثقوا من الأخبار حتى ولو كانت من أوثق الناس لديهم وغير متهم لديهم ، فطلب الشاهد منهم على ذلك أن نحقق في نقل الأخبار ونستوثق ، فلا نقبل النقل على إطلاقه.[٢٢] وفي هذه المرحلة بدأ رفض قبول الخبر بغير إسناد ، وخاصة بعد أن وقعت فتنة مقتل عثمان بن عفان .رضي الله عنه ـ فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن محمد سيرين أنه قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم .وبعد مقتل عثمان زاد احتياط الصحابة وتثبتهم".[٢٣]

وكذلك روي عن عمر بن الخطاب .رضي الله عنه .لما سمع فاطمة بنت قيس – وقد طلقها زوجها ثلاثاً – أن رسول الله لم يجعل لها سكنى ولا نفقة ، قال :"لا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندري حفظت أو نسيت ، لها السكنى والنفقة " ، قال الله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ)سورة الطلاق[٢٤] وروي عن ابن عباس رضي الله عنه الكثير من رد أقضية علي بسبب الكذب الذي حشاه الرافضة على علي .رضي الله عنه .[٢٥]

وفي هذه المرحلة المهمة المتقدمة من تاريخ علم المصطلح بدأت مرحلة نقد المتن ، إذ تعرض أي عبارة على كتاب الله ، وما ثبت من سنته .صلى الله عليه وسلم .من الحديث الصحيح ، فإذا سلمت من المعارضة قبلت وإلا رفضت ،وخير مثال على ذلك ما روي من المناقشة التامة بين عائشة وابن عمر في حديثه ـ صلى الله عليه وسلم:" إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه".[٢٦] وفي هذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما:"إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ، ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا بما نعرف".[٢٧] لقد تكلم عدد من الصحابة كابن عباس ، وعبادة بن الصامت ، وأنس بن مالك ، والسيدة عائشة .رضي الله عنهم.

إن مثل هذه النصوص دالة دلالة واضحة على شدة حرص الصحابة واهتمامهم وأمانتهم وورعهم بالتثبت والتيقن من الحديث ،مما كان له الأثر الواضح في حفظ هذا الدين من التلاعب والتزوير . وكان للصحابة السبق في وضع قواعد خذا العلم إذ أنهم أول من وضع أسسه ومهدوا طرقه وسار من بعدهم من تبعهم إلى يوم الدين قد ظهرت الفتنة وظهر أصحاب الأهواء والبدع والفتن ، وكان لهذا الظهور المبكر الأثر الإيجابي على الحديث إذ ربح المسلمون في مجال الدراية والبحث والنقد والتثبت ، مما ساعدهم على حفظ أصول الدين وسنة النبي .صلى الله عليه وسلم.[٢٨]

فكان جيل الصحابة رضي الله عنهم قد سبقوا ظهور الفتن بالتشديد في الرواية ، فما أن لاحت بوادر الفتنة ، حتى سابقوا بالمبالغة في التشدد بالرواية ، وبتحصين السنة بحصن آخر قبل مجيء الفتن وظهورها. فهذا عبد الله بن العباس ـ رضي الله عنهما ـ وضع المنهج في تلقي السنة ، عندما قال رضي الله عنه: "إنا كنا إذا سمعنا رجلاً يقول : " قال رسول الله .صلى الله عليه وسلم . ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بآذاننا . فلما ركب الناس الصعب والذلول ، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف ".[٢٩]

وقد نقلت إلينا المصادر أقوالاً كثيرة للصحابة والتابعين تبين مدى حرصهم ومحافظتهم على النصوص الحديثية وحمايتها والدفاع عنها ونشرها ، وتكلم في الرواة عدد منهم ، ونقدوا بعض ما روي مما يضيق ابحث عن ذكرها وسردها .

فالخلاصة أن ملامح هذه المرحلة تتمثل في:

١.التثبت في أخذ الأخبار ، وكيفية ضبطها ، بالانتباه لها ، ووعيها ، والتدقيق في نقلها للآخرين.

٢.الاعتدال في الرواية عن النبي .صلى الله عليه وسلم .وذلك من خلال التحذير من الكذب على رسول الله .صلى الله عليه وسلم.

٣.نقد المتن والحذر واليقظة من أهل الفتن والأهواء.[٣٠]

ومن هنا يظهر أن الصحابة .رضي الله عنهم .كانوا هم أول من بدأ بإنشاء ما عرف بعد بـ(علوم الحديث ومصطلحه).

المرحلة الثانية :

دور البناء والتأصيل والتكامل
من سنة (١٠٠ هـ) إلى سنة (٢٠٠ هـ)

بدأ عصر التابعين ، بعد أن انتهى الجيل الأول ، وذهب قرن الصحابة رضي الله عنهم . فتحمل التابعون بإحسان عن الصحابة رضي الله عنهم .العلم والإيمان ، والشعور العميق بعظم المسؤولية الملقاة عليهم بتبليغ العلم والإيمان للأجيال من بعدهم ، كما بلغتهم. وبدأت بعد وفاة كبار التابعين ، بعد أن طلب الإسناد ، وتشعب وانتشر وظهر التثبت من الرواية ، ودقق في النقل ، وأصبحت منهجية نقد واضحة في نقل الأخبار والروايات ، في الوقت الذي زادت فيه البدع والخرافات ، وبرزت الفرق الضالة ، وظهرت بدعتها ، وكثر إتباعها ، وانتشرت النحل والعصبية ، حتى ظهر من يتعمد الكذب ووجد المتعصبون للمذاهب ، فأصبحوا يروون أحاديث مذهبهم وبدعتهم ، فظهرت الحاجة الملحة إلى المزيد من البحث والدراسة والتثبت والرحلة في طلب الحديث للشام ،والمدينة ،والحجاز والكوفة ، والبصرة ، وكثرت الأخبار في رحلات العلماء لطلب الحديث وتعلم السنة حتى أنها تفوق الحصر وللإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، كتاب بهذا العنوان وهو حافل بأخبار الرحلة في طلب الحديث. وفي هذه الحقبة دوت صرخات من أئمة التابعين ، لمواجهة كل هذه الأخطار المحدقة بالسنة وتجند للدفاع عن السنة أئمة ومن هذه الصرخات ، كلمة محمد بن سيرين ، التي حفظتها الأجيال ، وهي قوله : " إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ".[٣١]

وظهر الكتابة في الجرح والتعديل ،الذي يبحث في أحوال الرواة من حيث القبول والرد ، وظهر من العلماء مجموعة في الولايات والآفاق ، فاضطر العلماء الجهابذة من علما الجرح والتعديل ، إلى اتساع النظر ، والاجتهاد في البحث عن الرواة ونقد الإسناد فظهر منهم: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ) ومعمر بن راشد الصنعاني (ت١٥٣هـ) ، وشعبة بن الحجاج (ت١٦٤هـ) ومالك بن أنس (ت١٧٩هـ) وعبد الله بن المبارك ويحيى بن سعيد القطان (ت١٧٩هـ) وسفيان بن عيينة (ت١٩٧هـ) ، وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي (ت١٩٨هـ) ،وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي(ت١٥٧هـ) وعامر بن شراحيل الشعبي(ت١٠٣هـ) ، وأيوب بن كيسان السختياني(ت١٣١هـ) ، وهشام بن عبد الله الدستوائي (ت١٥٤هـ). مما جعل هذه المرحلة بحق مرحلة البناء القوي المنيع ، ومرحلة التأصيل ، ووضعت القواعد لهذا العلم ، حتى قال الإمام الأوزاعي: "كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم المزيف على الصيارفه ، فما عرفوا منه أخذنا ، وما تركوه تركنا".[٣٢] وظهر في الفترة التخصص في علم واحد من العلوم ويعد الإمام الشافعي(ت٢٠٤هـ) أول من صنف وكتب في قواعد علم مصطلح الحديث في كتابه (الرسالة). وهو كتاب في أصله في أصول الفقه ، لكن حوى أهم مباحث مصطلح الحديث ، كشرط الحديث الصحيح ، وشرط حفظ الراوي ، والرواية بالمعنى ، وبحث في الحديث المرسل ، والحسن ، حتى عد بأنه أول من صنف بذلك لكنه لم يكن متخصصاً ولا شاملاً لبعض العلوم تقعيداً وتأصيلاً ، وكان لهذه المرحلة التي برز فيها علم الجرح أثراً واضحاً في حفظ السنة النبوية.[٣٣]

المرحلة الثالثة

العصر الذهبي(النضوج والتدوين)
القرن الثالث (٢٠٠-٣٠٠)هـ

وتسمى هذه المرحلة بالعصر الذهبي ، عصر تميز بالنضوج والرسوخ والقوة ، ببيان أن مصطلح الحديث بلغ قمة تطوره مع وجود قوة كبيرة للفرق الضالة والمنحرفة التي تعاظم خطرها وازداد. وفي هذه المرحلة برز هذا العلم ، وظهرت كتاباته مدونة وموثقة ، وهيأ الله في هذه المرحلة أكابر العلماء ،منهم يحيى بن معين (ت٢٣٣هـ) ،صنف في موضوعات عدة ومتنوعة كان أبرزها كتب التاريخ والتراجم ، وعلي بن المديني (ت٢٣٤هـ) ولعله أقدم من صنف في موضوعات مختلفة بمجموعة كبيرة من المصنفات في الفنون الحديثية بلغت أكثر من مائتي كتاب لم يسبقه أحد من المصنفين في موضوعاته ، لكنها فقدت في أكثرها ، ومنهم إمام أهل السنة احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) ، صنف في مئات الأجزاء في معظم موضوعات مصطلح الحديث ، ومنهم محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) صنف في الضعفاء والتاريخ والكنى والعلل ، فكان بارعاً ومتعمقاً في علم العلل ، حتى قال عنه الإمام مسلم بن الحجاج: أستاذ الأستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث في علله.[٣٤]

ومنهم الإمام مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)مجموعة من المصنفات في العلل ، والأقران ، والتاريخ ، وذكر في مقدمة صحيحة حول هذا الموضوع ، ومنهم عبيد الله بن عبد الكريم أبو زرعة الرازي (ت٢٦٤هـ) في الضعفاء والمتروكين ، الصغير ، ومنهم محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني(ت٢٧٣هـ) ومنهم أبوداود السجستاني (ت٢٧٥هـ) رسالة إلى أهل مكة ومنهم محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ) قد صنف في العلل ، ومنهم أبو حاتم الرازي (ت٢٧٧هـ) صنف كتابي العلل ، والجرح والتعديل ، وقد عرف بالنقد الباهر للرجال والعلل. ومنهم أبو بكر البزار (ت٢٩٢هـ) صنف مصنفاً سماه " من يترك حديثه أو يقبل ". وصنف أبو بكر البرديجي (ت٣٠١هـ) كتابًا سماه معرفة أصول الحديث.

وفي هذه المرحلة دونت الأحاديث ، وأفرد علماء هذا العصر علم المصطلح بالتأليف بأنواعه المختلفة المتخصصة ، فصنف في: المرسل ، والعلل ، وتاريخ الرجال ، والثقات ، والضعفاء ، والطبقات ، والكنى ، والناسخ والمنسوخ. وكانت الصفة الغالبة في هذه المرحلة رغم كثرتها وتنوعها متخصصة في نوع واحد.

وقد بين الإمام الحاكم في كتابه "معرفة علوم الحديث" مجموعة من الكتب المختلفة في موضوعاتها الخاصة بعلوم الحديث ، والتي تدل دلالة واضحة عن نشأة الكتب في العصر الذهبي لعلم المصطلح.

المرحلة الرابعة:

مرحلة الكتابة والاستكمال
في القرون الرابع والخامس والسادس
من سنة (٣٠٠ هـ) إلى سنة (٦٠٠هـ)

وهي مرحلة واسعة في التأليف بهذا العلم ، وهي مرحلة كتابة مصطلح الحديث في كتب خاصة ، وتعد المرحلة الثالثة لها الأثر الواضح في مصنفات هذه المرحلة فقد تتلمذ أصحاب المصنفات في هذه المرحلة على من سبقهم في المرحلة الثالثة ، وبرز في هذه المرحلة

الكتب المستقلة التي تجمع قواعد أصول الحديث مجردة عن غيرها بوصفها علماً قائماً لذاته له منهجه ومرتكزاته. وفي هذه المرحلة بدأ الاهتمام في أنواع علم المصطلح المختلفة ، وصنف في جميع هذه الأنواع ، وبرز لكل نوع علماء مصنفين مختصين ، برزوا في جانب معين من هذه الجوانب ، مع أن هذه العلوم كثيرة ومتنوعة ، لا يمكن ذكرها في هذا البحث ،إذ أنها لا تعد ولا تحصى ، حتى قال عنها الإمام محمد بن موسى الحازمي (ت٥٨٤هـ) : "علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة ، كل منها علم مستقل لو أنفق الطالب فيه عمره لما أدرك نهايته".[٣٥] ومن أهم هذه العلوم المتعددة الأنواع:

(١) علم الجرح والتعديل: علم يبحث عن الرواة من حيث ما ورد في شأنهم مما يشينهم أو يزكيهم بألفاظ مخصوصة ، وقد تكلم به الكثير ممن اشتغل بعلم الحديث ، وصنف المصنفات في ذلك كالطبقات الكبرى لأبن سعد (ت ٢٣٠هـ) ، وكتب التاريخ الكبير والأوسط والصغير للبخاري ، والتاريخ ليحيى بن معين وغيره.[٣٦]

(٢) علم رجال الحديث: علم يعرف به رواة الحديث من حيث أنهم رواة للحديث ، وأول من عرف عنه الاشتغال بهذا العلم ، الإمام البخاري ، وصنف فيه ابن حبان في كتابيه المجروحين ، والثقات ، وابن عدي (ت٣٦٥هـ) في كتابه الكامل في الضعفاء.[٣٧]

(٣) علم مختلف الحديث: علم يبحث في الأحاديث التي ظاهرها التعارض ، من حيث إمكان الجمع بينها ، إما بتقييد مطلقها ،أو تخصيص عامها ، أو حملها على تعدد الحادثة التي ورد فيها الحديث. وقد صنف فيه الشافعي (ت٢٠٤هـ) ، وابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) ،وابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).[٣٨]

(٤) علم علل الحديث : علم يبحث في الأسباب الخفية الغامضة التي تقدح في صحة الحديث من أن الظاهر السلامة منه ، كوصل منقطع ، ورفع موقوف ، وإدخال حديث بحديث . وممن صنف علي بن عمر الدارقطني ت(٣٨٥هـ).[٣٩]

(٥) علم غريب الحديث: علم يبحث فيما وقع في متن الحديث من لفظة غامضة بعيدة عن الفهم لقلة استعمالها ، وممن صنف الزمخشري (ت٥٣٨هـ).[٤٠]

(٦) علم ناسخ الحديث ومنسوخه : علم يبحث عن الأحاديث المتعارضة التي لا يمكن التوفيق بينها من حيث الحكم على بعضها أنه ناسخ ، وعلى بعضها الآخر أنه منسوخ ، فما ثبت تقدمه يقال له منسوخ ، وما ثبت تأخره يقال له ناسخ. وممن صنف فيه أحمد بن إسحاق الدينوري (ت٣١٨هـ).[٤١]

إضافة إلى مجموعة كبيرة زاخرة من أمهات الكتب ، والمؤلفات المتنوعة في فن مصطلح الحديث ، والتي تعد بحق من المؤلفات الجامعة التي أصبحت مصدراً أساسياً لكل من صنف في هذا العلم من المراحل المتأخرة حتى أيامنا هذه ، إذ نضجت العلوم واستقر الاصطلاح وصنفت الكتب والمصنفات ، وقد امتازت هذه الكتب أنها لم تكن متكررة لما قبلها. ومن أهم هذه الكتب والمصنفات:

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ) والذي يعد أول مصنف في هذا المجال ، لكنه لم يستوعب فقد جمع أبحاث المصطلح ، فقد كانت البداية ، وما زال التصنيف في هذا العلم ينمو.

(٢) معرفة علوم الحديث ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن منيع الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) . جمع فيه أبحاث مختلفة في هذا الفن ، لكنه لم يهذب هذه الأبحاث ، ولم يرتبها الترتيب المطلوب مع أنه تميز بأنه أول من أوجد التعريف لمصطلحات علم مصطلح الحديث.

(٣) المستخرج- بكسر الراء- على كتاب الحاكم ، أبو نعيم الأصبهاني ،أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ) ، عمل على كتاب الحاكم مستخرجاً زاد فيه أشياء على ما كتبه.

(٤) الكفاية في معرفة قوانين الرواية ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي(ت٤٦٣هـ) ، وهو كتاب جامع لمسائل هذا الفن ، بين فيه القوانين المهمة في الرواية ، وتنوع في كل نوع من أنواه مصطلح الحديث.

(٥) الجامع لآداب الشيخ والسامع ، وهو أيضاً لأبي بكر أحمد بن ثابت البغدادي ، جمع فيه الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل من طالب العلم والمتعلم. وقد اشتهر الخطيب البغدادي بكل فنّ من فنون علم الحديث ، حتى لا تجد فناً إلا له به كتاباً مفرداً ،حتى أن أكثر من جاء بعده كانوا عيالاً عليه ، فكان كما قال الحافظ أبو بكر نقطة محمد بن عبد الغني البغدادي (ت٦٢٩هـ) : كل من أنصف علم المحدثين بعد الخطيب عيال علي كتبه.[٤٢]

(٦) الإلماع في آداب الرواية وتقييد السماع ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤) اقتصر فيه على الضبط وتقييد السماع.

(٧) ما لا يسع المحدث جهله ، أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي الميانجي (ت ٥٨٠هـ) مختصرة لكنها لها أهميتها في موضوعاتها.

لقد تميزت هذه المرحلة التاريخية لعلم المصطلح بجهود زاخرة من العلماء في البحث والتأليف والتصنيف والنقد والتحرير ، حتى أن الحافظ ابن حجر وصف كتب هذه المرحلة بقوله : "كلّ فن من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه كتاباً مفرداً". ولم تقتصر هذه المرحلة على هذه الكتب بل كان هناك مئات من الكتب التي صنفت في الرجال والثقات والضعفاء والطبقات والأطراف.

المرحلة الخامسة:

مرحلة الجمع والترتيب والتمحيص والنضج والاكتمال من سنة (٦٠٠ هـ) من القرن السابع إلى القرن العاشر

وهذه المرحلة التاريخية من مراحل هذا العلم بالرغم من طولها وامتدادها إلا أنها تعد عالة على المرحلة السابقة ، مع الأخذ بالضبط والنقد والتمحيص بالرغم من كثرة العلماء ، وقد اشتهر التأليف في هذه المرحلة وجاءت هذه الكتب لتستفيد من كتب المرحلة السابقة ، فرتبت ، وهذبت ،وحوت جميع ما سبقه. وأطلق عليها المرحلة التعليمية ، ومن أهم كتب هذه المرحلة:

علوم الحديث ، ويعرف ب"مقدمة ابن الصلاح " ، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المشهور بابن الصلاح الشّهرزوري ،(٦٤٣هـ) صنفه عندما ولي التدريس بالمدرسة الأشرفية ، ويعد العمدة في هذا الفن ، وقد جمع ابن الصلاح كتابه من تصانيف الخطيب البغدادي ، ومعرفة علوم الحديث للحاكم ، وغيرهما من العلماء ممن سبقه في المرحلة السابقة ، فهذبها وجمعها ، وكان يمليها

على طلابه بالمدرسة الأشرفية ، فلم تكن قد ظهرت بمظهر المصنف والمرتب والمنسق ، حيث أنه لم يذكر ما له علاقة بالسنة وحده ، وما يتعلق بالمتن وحده ، ولم يفصل بين كيفية التحمل والأداء ، وبين ما يخص صفات الرواة وحده. إذ حرص على إلقاءه على طلابه في المدرسة ، فقد جمع ما تفرق في مؤلفات من سبقه ، وضم إليه ما يجب ضمه من الفوائد ، ومع ذلك فقد اشتمل كتابه على خمسة وستين نوعاً من أنواع العلوم الخاصة بعلم المصطلح. وقد جاء الإمام السيوطي من بعده فاعتذر في كتابه التدريب عن ابن الصلاح في عدم ترتيبه وتنسيقه فقال: "بأنه جمع متفرقات هذا الفن من كتب مطولة. وقد وجد هذا الكتاب العناية والرعاية من حيث الشرح والتوضيح والنظم ،جهودا متعددة من العلماء ، حتى أن كل من خلفه سار على ذلك ، فمنهم شرحه ، ومنهم من نظمه ، ومنهم من اختصره ، ومنهم من اقتصر على بعض ما جاء فيه ، ومنهم من استدرك عليه بعض ما فاته وجعل له حواشي ، فكان هذا الكتاب حدثاً جديداً شغل العلماء والباحثين ، وفيه قال الحافظ ابن حجر: فلا يحصى كم ناظم له ومختصر ، ومستدرك عليه ومقتصر ، ومعارض له ومنتصر".

وممن شرحه واختصره مع التهذيب والزيادات البلقيني (ت٨٠٥هـ) في كتاب سماه " محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح " ، وممن شرح كتابه وعلق عليه الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي(ت٨٠٦هـ) في كتاب سماه "التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من علوم ابن الصلاح". وهو شرح نفيس قيم قدم فيه إيضاحات وتفسيرات وزيادات أضافت إلى الكتاب كثيراً من الإيضاءات. ونظمه في كتابه " ألفية الحديث " وزاد عليه في ألفيته"نظم الدرر في علم الأثر "وشرحها بشرحين مطول ومختصر ، والمختصر سماه" فتح بشرح ألفية الحديث " ، وعلى شرحه حاشية لبرهان الدين عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) بلغ بها نصفه ، وتسمى" النكت الوفية بما في شرح الألفية". وحاشية لقاسم بن قطلوبغا (ت٨٧٩هـ). وممن شرحها محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ) في كتاب سماه "فتح المغيث شرح ألفية الحديث" ، وهي من أوفى الشروح . وممن شرحه جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتاب سماه "تدريب الراوي" ويعتبر شرحاً للتقريب على الخصوص ثم لكتاب ابن الصلاح وغيره من كتب الفن على العموم.

فمن ثم جاء كتاب "التدريب" أوفى ما كتب في علم مصطلح الحديث و أصوله ، وعليه المعول لكل من ألف في الفن بعده . وقد أكثر فيه من النقول والنصوص. تاركاً لمن جاء بعده التحقيق والتمحيص. والموازنة والترجيح. إضافة إلى أن السيوطي كان قد قام بنظم كتاب ابن الصلاح شعراً بمنظومه سماها " نظم الدرر في علم الأثر " وشرحها بشرح سماه " قطر الدرر" ، ونظمه في كتابه " ألفية الحديث " وشرحها بنفسه ، وممن شرحه الشيخ زكريا الأنصاري (ت٩٢٨هـ) في كتاب سماه " فتح الباقي شرح ألفية العراقي " وعلى شرحه حاشية لعلي بن أحمد العدوي (ت١١٨٩هـ) في مجلد واحد.

أما اختصار الكتاب فقد اختصره أبو زكريا محيي الدين النووي (ت٦٧٦هـ) في كتاب سماه "الإرشاد" ، واختصر المختصر في كتاب سماه"التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير" ، وممن اختصره تقي الدين بن دقيق العيد (ت٧٠٢هـ) في كتابه"الاقتراح في بيان الاصطلاح" ، وممن اختصره بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني (ت٧٣٣هـ) في كتاب سماه "المنهل الروي في الحديث النبوي" ، وممن اختصره الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) في كتاب سماه " الباعث الحثيث شرح اختصار الحديث" ، حيث استدرك عليه استدراكات نافعة ، وبين بعض الزيادات والتوضيحات الهامة ، وقد شرحه أحمد محمد شاكر. وممن اختصره أبو حفص سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقيني (ت ٨٠٥ هـ) في كتاب سماه: "محاسن الاصطلاح في تضمين كتاب ابن الصلاح" وممن اختصره أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المصري(ت ٨٥٢هـ) كتاب سماه "نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" وله كتاب "النكت على ابن الصلاح".[٤٣]

وبالرغم من العناية والاهتمام بكتاب ابن الصلاح المتقدم الذكر فقد تميز بمميزات عده في هذه المرحلة منها:

١- اشتماله على خمسة وستين نوعاً من أنواع علم مصطلح الحديث.
٢- الاستنباط الدقيق لمذاهب العلماء وقواعدهم من أقوالهم المأثورة.
٣- ضبط التعاريف وحررها ، وأوضح مصطلحات لم يصرح بها قبله.
٤- هذب عبارات المتقدمين وبين وجوه الاعتراض على بعضها.
٥- عقب على أقوال العلماء بالتحقيق والترجيح.[٤٤]

المرحلة السادسة:

عصر الركود والجمود

إذ توقف الاجتهاد في مسائل العلم والابتكار والتصنيف دون اجتهاد في مسائل العلم ، وقد امتد ذلك إلى مطلع القرن الهجري الحالي.[٤٥]

المرحلة السابعة:

مرحلة اليقظة والتنبه في العصر الحديث مطلع القرن الهجري الحالي إلى وقتنا الحاضر

فقد تنبهت الأمة للأخطار نتيجة اتصال الغرب بالشرق ، والصدام العنيف العسكري والفكري ، وقد وضعت الدسائس واثيرت شبهات حول السنة اقتضت تأليف أبحاث حولها ، كما اقتضى تجديد طرائق التدوين في علوم الحديث.[٤٦]

ومن هذه التصانيف في المرحلتين الأخيرتين من مراحل هذا جملة كثيرة ومتنوعة سنذكر بعض الشيء عن بعضاً من الكتب الحديثة بشيء من التوضيح مع ذكر بعضها الآخر.

(١) الاقتراح ، تقي الدين محمد بن علي بن دقيق العيد (ت٧٠٢هـ).
(٢) الخلاصة في أصول الحديث ، شرف الدين حسن بن محمد الطّيبي (٨١٦هـ).
(٣) تنقيح الأنظار ، محمد بن إبراهيم المعروف بأبن الوزير الزيدي (ت٨٤٠هـ) وقد شرحه محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني (ت١١٨٢هـ).لكتابه توضيح الأفكار.
(٤) المختصر للشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) ، شرحه محمد بن عبدالحي اللكنوي (١٣٠٤هـ) سماه "ظفر الأماني بشرح خلاصة الجرجاني ".
(٥) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) سماها "نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" – ابن حجر – جزء صغير جدا لكن من أنفع المختصرات وأجودها ترتيبا ، وقد شرحها في كتاب " نزهة النظر " وقد لقي هذا الكتاب شروحات ، وحواشي عليه بشكل واسع وكبير ، فمن الحواشي حاشية للقاني المتوفي (ت١٠٤١هـ)،

وحاشية لأبن قطلوبغا. ومن الشروح : المصنف ، علي بن سلطان القارئ (ت١٠١٤هـ) ، و"اليواقيت والدرر في شرح نخبة الأثر" عبدالرؤوف المناوي ،(ت ١٠٢١هـ)، تحقيق: مرتضى الزين احمد " وبهجة النظر" محمد صادق بن عبد الله السندي.(ت١١٣٨هـ) وقد نال ترتيب ابن حجر وتحريره موضع إعجاب العلماء ، مما كان جعلهم يقبلون عليه في الدروس والشروح والاختصار.

(٦) مقدمة فى اصول الحديث ، المحدث الجليل الشيخ عبد الحق الدهلوى (ت ١٠٥٢هـ)، تقديم و تعليق: سلمان الحسينى النّدوى

(٧) المنظومة البيقونية ، عمر بن محمد بن فتوح البيقوني الدمشقي (ت١٠٨٠هـ)، شرحها محمد بن صعدان الحاجري (ت١٢٢٩هـ)، وشرحها محمد بن صديق بن حسن بن خان البخاري القنوجي (ت١٤٠٧هـ)بكتاب سماه " شرح العرجون في شرح البيقون" .

(٨) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ) جمع فيه فوائد جمة عبارة عن نقول من كلام العلماء السابقين في هذا العلم ، وله فيها فضل الترتيب والتبويب ، والجمع والتهذيب ، والترجيح أحياناً.

(٩) توجيه النظر إلى أصول الأثر ، الشيخ طاهر بن صالح الجزائري (ت١٣٣٨هـ) جمع فيه الخلاصة من أقوال العلماء السابقين في علم مصطلح الحديث وعرض علوم الحديث عرضاً دقيقاً.

(١٠) الطراز الحديث ، لأبي الفضل الجيزاوي شيخ الجامع الأزهر سابقاً.

(١١) مفتاح السنة أو " تاريخ فنون الحديث" للشيخ محمد عبدالعزيز الخولي وهو كتاب وسط ونافع ومفيد عرض فيه لمنزلة السنة من القرآن وابتداء التدوين ، وأشهر الكتب المؤلفة في القرون الأولى ولاسيما القرن الذهبي لتدوين كتب الحديث ودواوينه وهو القرن الثالث ، كما عرض فيه لتواريخ علوم الحديث.

(١٢) أحسن الحديث . للعلامة الشيخ عبد الرحمن المحلاوي ، اختصر فيه البيقونية وشروحها وحواشيها.

(١٣) مصطلح الحديث للعلامة الشيخ عبد الغني محمود ، اختصر فيه النخبة وشروحها.

(١٤) الأسلوب الحديث في علوم الحديث " للعلامة الشيخ " أمين الشيخ" . اعتمد فيه على كتب السابقين ولاسيما كتاب " ظفر الأماني" شرح مختصر الجرجاني" و" مفتاح السنة " وذكر في آخره جملة عن الأحاديث المشكلة والإجابة عنها وعدتها واحد وعشرون حديثاً.

(١٥) ضوء القمر في توضيح نخبة الفكر"و " الموجز في علوم الحديث " الشيخ " محمد بن علي أحمدين ".

(١٦) "المنهل الحديث في علوم الحديث" للعلامة الشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني.

(١٧) الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للإمام " اللكنوي " ، وفيه عرض جيد لأبحاث هذا العلم.

(١٨) الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة" للكنوى" أيضًا ، وفيه إجابات على أسئلة عشرة تتعلق بعلوم الحديث ، منها ما يتعلق بالصحيح والحسن في كتب السنن والمصنفات والمستدركات ، ومنها ما يتعلق بدرء التعارض بين أقوال المحدثين.

(١٩) قواعد في علوم الحديث " للعلامة " ظفر أحمد العثماني التهانوي ، تحقيق عبدالفتاح أبي غدة ."والسبب في تأليف هذا الكتاب هو ما وقع في الهند من طعن بعض الناس بالعلماء ، فألف كتابه إعلاء السنن سماه بعد ذلك الشيخ عبد الفتاح أبو غدة "قواعد في علوم الحديث" بعد أذن المؤلف ، وهو كتاب عظيم النفع والإفادة ، جميل الترتيب والنظام ، فريد المعرفة في كثير من جوانبه وفصوله ، تدارك به مؤلفه قسماً كبيراً من المباحث المغفلة في كتب مصطلح الحديث وعلومه ، فنظمها خير تنظيم ، وقعدها أحسن تقعيد ، تصحبها أدلتها وشواهدها وامتاز بالاستقراء والاستقصاء لكثير من المسائل فيذكر فيه مسائل شائكة ومستعصية من أنواع مصطلح الحديث قل أن تجدها عند المعاصرين ، فقد استطاع أن يجمع قسماً كبيراً من المباحث المغفلة في كتب المصطلح ، فنظمها خير تنظيم.

(٢٠) المنهج الحديث في علوم الحديث " للدكتور الشيخ " محمد محمد السماحي" ، قصد فيه إلى إعداد موسوعة جامعة في علوم الحديثً.

(٢١) مقاصد الحديث في القديم والحديث " للدكتور الشيخ " مصطفى أمين التازي" وهو يتألف من جزأين عرض فيهما لمسائل من هذا العلم ، وهو في عرضه يتميز بسلاسة العبارة وجمال الأسلوب ودقة التحقيق.

(٢٢) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث " للدكتور الشيخ " محمد محمد أبو شهبة " وهو خلاصات محررة لما يوجد في متفرقات كتب الفن من لدن الرامهرمزى إلى عصرنا هذا . كما يقول الشيخ رحمه الله.

(٢٣) أصول الحديث: علومه ومصطلحه للدكتور محمد عجاج الخطيب وقد تناول فيه أهم القواعد والأسس التي اتبعت في قبول الحديث ورده ، وفي تحمله وأدائه ، وما يلحق بهذا من علوم مختلفة تتعلق بأحوال الرواة والمرويات ، وما يترتب على ذلك من أحكام بين القبول والرد.

(٢٤) علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح ، وهو كتاب كما قال صاحبه يجمع طائفة من المباحث العلمية تنفض غبار السنين عن تراثنا الخالد ، وتعرض أنفس روائع الفكر بأسلوب واضح بسيط أقرب إلى ذوق العصر ، ثم هو يجمع في آن واحد بين التأليف والتحقيق ، ويحاول إحكام الربط بين النتاج القديم والمنهج الجديد فقد درس فيه المؤلف علوم الحديث دراسة تحليلية ، وحاول أن يستخلص من ذلك المقاييس النقدية التي نادى بها علماؤنا من خلال المصطلحات الكثيرة المتفرقة ، وقد عقد في نهاية خاتمة حوالي أحد عشرة صفحة استخلص منها منهج المحدثين في النقد ، وبين أن منهجهم قائم على تمحيص الحقائق لا على تنميق المظاهر ، إذ المضمون هو الذي يعني هؤلاء ، وتعرض لشبهات المستشرقين الذين قالوا أن علماء الحديث اهتموا بالشكل دون المضمون. (انظر ص٣٠٦ من الكتاب)

(٢٥) منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر ، وهو يمتاز بمميزات كثيرة ، منها حسن التقسيم والتفصيل ، ودقة التحرير للأقوال والآراء التي كثرت فيها الخلافات ، وعمق الرد على بعض الآراء الاستشراقية التي لم تقم على أساس علمي سليم ، حيث

ابتكر فيه تقسيماً جديداً لعلوم الحديث في نظرية علمية متكاملة ، وفي الكتاب دراسة تاريخية لادوار علوم الحديث.

(٢٦) لمحات في أصول الحديث للدكتور محمد أديب صالح ، وهو كتاب يمتاز بحسن العرض وعمق الفكرة وغزارة الفائدة.

(٢٧) يسأل عن الحديث النبوي مصطلحه ، بلاغته ، علومه ، كتبه. محمد الصباغ ، وفيه خلاصة علم لمصطلح وكتبه لكنه لم يستوعب جميع مسائل الحديث ، وإنما ذكر هذه المسائل فقط.

(٢٨) تيسير مصطلح الحديث د. محمود الطحان ، يمتاز بسهولة العبارات والتلخيص والاستيعاب لجميع أبحاث المصطلح بشكل مختصر ، حيث سهل ويسر فهم هذا الفن على المبتدئين ولا يذكر الخلافات ، ولا الأقوال في المسائل المختلف فيها.

(٢٩) المنهل اللطيف في أصول الحديث ، القواعد الأساسية في علم مصطلح الحديث محمد بن علوي المالكي الحسني.

(٣٠) الإيضاح في علوم الحديث و الاصطلاح ، دكتور مصطفى سعيد الخن ودكتور بديع السيد اللحام.

وهناك كتب أخرى للمعاصرين في هذا الفن ، وهكذا توالت سلسلة هذا العلم متواترة لحمل الحديث النبوي وتبليغه علماً وعملاً ودراسة وشرحاً ، منذ عهده صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحاضر ، ويستطيع أي إنسان في أي وقت أن يجد السبيل إلى معرفة الحديث الصحيح وتمييزه عن غير الصحيح ، حيث كانت كل مرحلة تتعامل مع مستجدات وقتها ، فتضع لها الضوابط المناسبة والعلاج الصحيح. فكانت الضوابط والمؤلفات تواكب هذا التغير.

الخاتمة

فقد تعرفنا ولله الحمد والمنة ،من خلال البحث على تاريخ مصطلح الحديث ومراحله التي مر بها عبر العصور ، ومنذ نشأته الأولى ، وأن كل مرحلة كانت تتعامل مع مستجدات وقتها ، تضع الضوابط والقواعد لتلك الفترة ، وأن العلماء قد بذلوا قصارى جهدهم في تطبيق هذه القواعد والضوابط التي وضعوها من تفكيرهم القادر على الإبداع والابتكار القائم على حرصهم لحفظ حديث النبي .صلى الله عليه وسلم .من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان ، وأن هذه القواعد قد امتازت بالدقة والمنهجية ، والتي تميزوا بها عن غيرهم في نقد الأخبار ، وتوصلت إلى أهم النتائج التالية:

- أن علم مصطلح الحديث مر بمراحل متعددة بدأت منذ نشأة الحديث ، وأن لكل مرحلة ميزاتها وخصائصها.
- أن الحاجة قائمة بشكل مستمر للتصنيف والتوضيح والبيان لهذا الفن ، وأن التصنيف ما زال يتوالى حتى يومنا الحاضر.
- امتازت كتب المصطلح المتأخرة إلى سهولة العبارة والترتيب والتبويب الفني المناسب إذا ما قورنت مع المصنفات المتقدمة.
- أهمية علم مصطلح الحديث في حياة المسلمين لتميزها بين الأحاديث الضعيفة والصحيحة.
- حاجة الحياة المعاصرة للتصنيف بهذا العلم بعبارات واضحة وسهلة بعيدة عن التعقيد وعدم الوضوح.
- بيان شدة حرص الصحابة والتابعين .رضي الله عنهم . ومن تبعهم من المسلمين عبر مراحل الحياة لحفظ وصيانة حديث النبي ﷺ
- أن علم مصطلح الحديث قد بدأ منذ بداية الدعوة الإسلامية يهتم بدراسة السند والمتن معًا.

الهوامش

(١) سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر ، .العلم .باب ٥ ،٧/ رقم الحديث٣٤ (٢٦٦٣) شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، (ط٢) ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٠م. سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني ، (توفي ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجة .ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٨٤/١ حقق نصوصه وخرج أحاديثه ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.٦٧ . مسند أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (توفي ٤٢١هـ/٩٦٧م)، المكتب الإسلامي.

(٢) صحيح ، مسلم بن الحجاج النيسابوري (توفي ٢٦١هـ)، المقدمة ، تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ٦٤/١. حقق نصوصه ورقمه ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة.

(٣) صحيح مسلم ، المقدمة ، النهي عن الحديث بكل ما سمع ١١/١.

(٤) مسند أحمد ١١/٥.

(٥) صحيح مسلم . المقدمة . النهي عن الحديث بكل ما سمع ٩/١ ، عن سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة ، وانظر: سنن الترمذي . العلم . ما جاء فيمن يروي حديثًا وهو يرى أنه كذاب رقم الحديث(٢٢٦٦٢)، سنن ابن ماجة ، رقم الحديث (٣٩)، مسند أحمد ١٤/٥ ، ١٩ ، ٢٠.

(٦) تذكرة الحفاظ ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٢/١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

(٧) موسوعة الحديث الشريف.

(٨) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٤٠/١ ط٢ ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، منهج النقد في علوم الحديث ، د. نور الدين عتر ٢٧ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٩ هـ/١٩٧٧ م.

(٩) تدريب الراوي ١٤٠/١ ، ٢٢ . توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ، محمد بن إسماعيل الحسني الصنعاني (توفي١١٨٢هـ)، ٦٠/١ حققه وكتب له مقدمة ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة.

(١٠) الكفاية في علم الرواية ، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ٣ /٧، دار الكتب الحديثة ، ط١ القاهرة. الباعث الحثيث ، شرح اختصار علوم الحديث ، لأبي الفداء عماد الدين بن كثير ١٨ ، شرح وتحقيق أحمد شاكر ، ط٣ ، مكتبة صبيح بالقاهرة. علوم الحديث ومصطلحه ، صبحي الصالح ، ص١٠٨ ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٥م. أصول الحديث علومه ومصطلحه محمد عجاج الخطيب ص ٤٥. طبع دار الفكر. ط٢ ، ١٩٧١/، منهج النقد في علوم الحديث ، نور الدين عتر ٣٢.

(١١) تدريب الراوي ص٥.

(١٢) سبق تخريجه. وانظر: علوم الحديث ومصطلحه ، صبحي الصالح ، ص١٥ ، أصول الحديث علومه ومصطلحه محمد عجاج الخطيب ، ص ١٠ ، منهج النقد في علوم الحديث ، نور الدين عتر ٣٤.

(١٣) صحيح مسلم . المقدمة . ١٤/١ ، ٣١ . سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي (توفي٢٥٥هـ)، رقم الحديث (٤٢٥) نشر دار إحياء السنة النبوية ، الجرح والتعديل ، عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي ١٥/٢ ، دار الكتب العلمية ، مصورة عن ط١ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند.

(١٤) مقدمة صحيح مسلم ١٥/١ ، الجرح والتعديل ابن أبي حاتم ٣١/٢.

(١٥) منهاج السنة النبوية أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ٣٧/٧. الأميرية بولاق ١٣٢١هـ.

(١٦) الكفاية في علم الرواية ، ص١١٧.

(١٧) الموضوعات ، عبد الرحمن بن الجوزي ، ط١ ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، ١٩٦٦.

(١٨) صحيح البخاري مع الفتح محمد بن إسماعيل البخاري ،. العلم . تعليقًا بصيغة الجزم ١٧/١ ، رقمه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الريان للتراث ، القاهرة. وانظر: شرح القسطلاني على صحيح البخاري ١٧٧/١ ، تذكرة الحفاظ ٤٣/١ ، معرفة علوم الحديث ، محمد بن عبد الله الحاكم ، ص٩ ، تحقيق د. معظم حسين ، مطبعة القاهرة ،١٩٣٥م.

(١٩) سنن الترمذي ، الفرائض . باب ١٠ ، ٤٢٠/٤ رقم الحديث (٢١٠٥)، معرفة علوم الحديث للحاكم ، ص١٥.

(٢٠) صحيح البخاري مع الفتح . الاستئذان . التسليم والاستئذان ثلاثاً ٣١/١١ رقم الحديث (٥٤٢٦).

(٢١) سنن الترمذي رقم الحديث (٤٠٦)، مسند أحمد ٤٧/٢، ٥٦.
(٢٢) السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، ص١١٢ .١١٥ .ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٣م.
(٢٣) صحيح مسلم بشرح النووي .المقدمة .بيان أن الإسناد من الدين ٧٨/١.
(٢٤) صحيح، المقدمة، سنن أبي داود ٨٨/٢.
(٢٥) صحيح مسلم، المقدمة.
(٢٦) صحيح البخاري ١٥١/٣، وانظر الفكر المنهجي عند المحدثين ضمن سلسلة (كتاب الأمة)، د. همام سعيد ص٥٦. ط١، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ١٤٠٨م.
(٢٧) صحيح مسلم .المقدمة .١٣/١.
(٢٨) الفكر المنهجي عند المحدثين، د. همام سعيد ص٥٦.
(٢٩) صحيح مسلم .المقدمة ١٢/١ .١٣، سنن الدارمي رقم الحديث (٤٣٢، ٤٣٣).
(٣٠) علوم الحديث، عثمان بن عبد الرحيم ابن الصلاح، تحقيق د. نور الدين عتر، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م. المدخل إلى علم الحديث، د. نور الدين عتر.
(٣١) سبق تخريجه.
(٣٢) السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب.
(٣٣) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، ص٤٨، تحقيق أحمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت.
(٣٤) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص١١٤.
(٣٥) تدريب الراوي، ص٩.
(٣٦) توضيح الأفكار للصنعاني ٢٤٢/٢، تدريب الراوي ٢٥/١.
(٣٧) المصادر السابقة.
(٣٨) المصادر السابقة.
(٣٩) توضيح الأفكار ٢٠/٢.
(٤٠) توضيح الأفكار ٢٥٣/٢، تدريب الراوي ١/ ٢٣٧.
(٤١) المصادر السابقة.
(٤٢) شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ص١١.
(٤٣) علوم الحديث لابن الصلاح، ص٢٠.
(٤٤) منهج النقد في علوم الحديث، ص٦٦.
(٤٥) المصدر السابق، ص٦٩.
(٤٦) المصدر السابق، ص ٢٠.

الدكتور علي مصطفى علي الفضاة في سطور:
باحث وكاتب أردني من مواليد عين جنة عام ١٩٦٠. حصل على البكالوريوس من الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة عام ١٩٨٣. حصل على الماجستير من الجامعة الأردنية / كلية الشريعة ١٩٩١. حصل على درجة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية / كلية أصول الدين ١٩٩٥.

من إصدارات ٢٠٠٩

صدر للكاتب والشاعر والمؤرخ إبراهيم خليل إبراهيم وعن سلسلة كتاب صالون رفعت المرصفى كتابه الجديد .. البطل الأسطورة .. والذي يقدم بطولة حقيقية لأحد أبطال الصاعقة المصرية خلال معارك الاستنزاف: وما بعدها، وهو البطل عبد الجواد محمد مسعد سويلم، الذي أشترك في ١٨ عملية عبور خلف وداخل الخطوط الإسرائيلية خلال معارك الاستنزاف. وتمكن من تدمير ١٦ دبابة و ١١ مدرعة و ٢ عربة جيب و ٢ بلدوزر وأتوبيساً، كما أشترك مع رفاقه في تدمير ٦ طائرات بمطار المليز. وبعد إصابته بصاروخ مما سبب بتر ساقه اليمنى وأيضا اليسرى وساعده الأيمن كما فقد عينه اليمنى مع جرح كبير غائر بالظهر، بعد أصابته بهذه الإصابات الجسيمة رفد الخروج من الخدمة العسكرية وواصل كفاحه حتى حررت سيناء في أكتوبر ١٩٧٣.

ويعد البطل عبد الجواد محمد مسعد الجندي المصري الوحيد الذي نال شرف التكريم من رؤساء مصر جمال عبد الناصر، ومحمد أنور السادات، ومحمد حسنى مبارك، وأيضا الجندي الوحيد على المستوى العالمي الذي قاتل وهو مصاب بنسبة عجز مائة في المائة.

الكتاب يقع في ١٣٥ صفحة من القطع المتوسط وصدر في طباعة فاخرة. هذا وقد صدر للأديب والمؤرخ إبراهيم خليل إبراهيم ١٥ كتابا منها الشعري والتاريخي والنقدي. وأطلق عليه عدة ألقاب منها: الأديب الشامل، ومؤرخ حرب أكتوبر، وعندليب الأدب.